التجربة الحسية

- **الحس والتجربة:**
- **الحس:** أحس تأتي في اللغة بمعنى: وجد ، أو علم ، أو ظن وعليه قوله تعالى: (فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ (٥٢)) آل عمران ؛ فالإحساس بهذا وجود أو معرفة ، أو ظنَ .
- **الحواس:** تطلق على المشاعر الخمس: السمع ، والبصر والشم والذوق ، واللمس.

- **المحسوس:** المدرك بإحدى الحواس وجمعه محسوسات.
- **الحسي:** يطلق على المحسوس بإحدى تلك الحواس مقابلاً المعنوي وجمعه : حسيات.
- **الحسيات :** عند المناطقة تطلق على نوعين من القضايا:
- **الأول:** ما يجزم بها العقل بمجرد تصور طرفيها بواسطة الحس وهي أحكام جزئية كالحكم بوجود الشمس وإنارتها.
- **الثاني:** ما للحس مدخل فيها وإن لم يقتصر تركيب هذه القضية على الحس ، ويتناول التجريبيات والمتواترات وغيرها.

- ويرى الفلاسفة آن الحواس ليست محصورة بالخمس ، وقال بعضهم إن الإنسان يشتمل على حواس باطنة في مقابل الظاهرة وهذه الباطنة مثل: حاسة الحركة ، وحاسة الألم ، وحاسة التوازن.
- **الاتجاه الحسي :** هو الذي يقول أتباعه بأن جميع معارفنا ناشئة عن الإحساسات ، فالتصورات القائمة في العقل الإنساني مستقاة – كلها – من الطبيعة بواسطة الحواس وعليها تقوم المعرفة البشرية بعد ذلك.
- **التجربة :** فهي في اللغة: تعني الاختبار ، ورجل مجرَب اُختبِر

- ومجرِب عرف الأمور وخبَرها.
- **التجربة في نظرية المعرفة :** تطلق على ملاحظة العالم ظواهر طبيعية في شروط معينة ، يهيئها بنفسه ليصل من ذلك إلى قضية أو قضايا ؛ هذه القضايا هي **المجربات** التي يعرفها أهل المنطق بأنها: القضايا التي يحتاج العقل في جزم الحكم بها إلى واسطة تكرار المشاهدة.
- **الفرق بين الملاحظة والتجربة:** وقد فرقوا بينهما بأن الثانية تفتقر إلى تدخل العالم في مجال البحث ، بينما تقتصر الملاحظة

على مشاهدة الظاهرة على ما هي عليه في الطبيعة.

- وقد فرّق القدماء بين نتيجتيهما ، فسموا القضايا الناتجة من التجربة : مجربات مثل : النار محرقة، كما سموا القضايا الناتجة عن الملاحظة فقط : حدسيات مثل: الحكم بأن القمر يستمد نوره من الشمس بملاحظة ذهاب نور القمر في حالة وقوع الأرض بينه وبين الشمس.
- **التجريبي:** هو المنسوب إلى التجربة منهجاً أو اتجاهاً.
- **المنهج التجريبي:** هو الطريقة المشتملة على الملاحظة

والتصنيف ، والفرض ، والتجريب ، والتحقيق.

- **الاتجاه التجريبي:** هو القائم على أساس أن التجربة هي المصدر الوحيد للمعرفة البشرية ، من خلال المدركات الحسية ، ومن هنا فلا معرفة سابقة على المعرفة الناتجة عن التجربة ولا طريق لمعرفة سواها.
- وفي هذا نرى الصلة بين الحسية ، والتجريبية من حيث أن الحسية في مجال التصورات ، والتجريبية في مجال التصديقات وبما أن المعرفة العلمية تكمن في التصديق فإن الحديث سينصب على الاتجاهات التجريبية .

- **فلسفة اتجاهات التجربة الحسية :**
- تتمثل فلسفة اتجاهات التجربة الحسية من خلال العناصر الكبرى التالية:
- **١ – إنكار المبادئ الفطرية.**
- **٢ – الاعتماد على الحس والتجربة.**
- **٣ – الاستقراء والعلية.**
- **٤ – الميتافيزيقا والأخلاق.**

١- انكار المبادئ الفطرية

- **١- إنكار المبادئ الفطرية:** هذه هي النقطة التي يعلن الفيلسوف بتبنيه لها انتسابه إلى الاتجاه التجريبي.
- جون لوك ومهاجمة الاتجاه العقلي: بدأ (لوك) بمهاجمة الاتجاه العقلي ممثلاً بديكارت وإنكار أي أولية للمبادئ كما يرى العقليون وديكارت.
- يتصور (لوك) أن العقليين يرون هذه المبادئ – التي يهاجمها– قضايا علمية ومعاني واضحة في العقل منذ مولد الإنسان، كما يتصور أنهم يُدخلون الأحكام الذاتية

والتقديرات الشخصية المنبثقة من تآمل الإنسان ضمن تلك المبادئ لأن الجميع معرفة باطنة أي : أنهم لا يفرقون بين الذاتي والموضوعي ؛ وبناء على هذا التصور : كان هجومه على المذهب العقلي حيث يرى:

- أنه لو صح أن الغريزة تقدم العلم للإنسان لما كان بحاجة إلى الملاحظة والاختبار .
- كذلك يرى أن المبادئ لو كانت حقاً موجودة للزم أن توجد عند جميع الناس ، وليس كذلك لأننا نرى الأطفال والبُله

والأميين ليست واضحة لديهم أو غير موجودة.

- ويرى أن قول العقليين إن هذه المبادئ تكون في النفس ولا تظهر فاعليتها منذ الولادة وأنها تكون مطمورة لدى البله تناقض ؛ لأنهم يقولون إنها موجودة في العقل وغير موجودة (فكأنهم يقولون إن الإنسان جائع دائماً ولكنه لا يحس بالجوع دائماً...وواضح من هذا أن (لوك) لا يريد أن يعترف بالوجود بالقوة وباللاشعور مع أن الذاكرة دليل ساطع عليهما).

- لكن على الرغم من هذا الهجوم فإن (لوك) اعتمد على فطرية المبادئ كما يرى دارسوه من خلال إثباته فاعلية العقل في تكوين المعرفة.
- مما جعل التجريبيين بعده يتخذون موقفاً حاسماً من هذه المبادئ
- بإنكار فطريتها كما فعل (هيوم) الذي أحالها إلى شِبْه وهم مع مبدأ العلية
- وإما أن يعترفوا بوجودها لكنهم يجعلونها صادرة من التجربة كما يقول ذلك الاجتماعيون والماركسيون .

٢- الاعتماد على الحس والتجربة

- **٢- الاعتماد على الحس والتجربة:** اعتبر التجريبيون العقل صفحة بيضاء ، وأن الحواس والتجربة هي وحدها التي تنقش المعرفة على هذه الصفحة ، فالحس والتجربة هي المصدر الوحيد للمعرفة .
- ويتمثل تفسير التجريبيين الذي قالوا بالتجربة مصدراً للمعرفة في رأيين:
- **الأول:** الذي يرى أن المعرفة تتكون من الإحساسات والتجارب البسيطة وقد نحت فلسفة (كوندياك)[كوندياك "١٧١٥-١٧٨٠" فيلسوف فرنسي اعتنق مذهب لوك، فكان زعيم الحسية في وطنه. عرض هذه الحسية في كتابه "محاولة في أصل المعارف الإنسانية" "١٧٤٦" وأتبعه بآخر عنوانه "كتاب المذاهب" "١٧٤٩" نقد فيه مذاهب ديكارت ومالبرانش وسبينوزا وليبنتز وغيرهم من المعتمدين على العقل وحده]

هذا المنحى في تفسير المعرفة البشرية وشايعه عليه اخرون من التجريبيين الوضعيين الذين حصروا وجود المعاني في عبارات اللغة في تحققها في الواقع المحسوس ووسيلة معرفة ذلك الملاحظة الحسية ، أما الاستنباط من موجودات محسة على غيرها فإن هذه المستنبطات تظل فروضاً وهمية أو محتملة حتى يتم التحقق منها إن أمكن.

- والفيلسوف (آير) وهو أحد الوضعيين وفي مناقشته لديكارت يرى أن الخداع ليس مصدره الحواس فإحساسنا حق ولكن

وهمنا ، أو ما تفترضه عقولنا هو الذي خدعنا فالخداع مصدره العقل وليس الحس.وضرب لبيان ذلك مثال البرج الذي يراه الإنسان مستديراً عن بعد ومربعاً عن قرب فالخداع هنا ليس من طبيعة التجربة ولكنه راجع إلى أن الإنسان يقيم على تجاربه استدلالات خاطئة.

- والمعرفة على هذا تصورات انعكست في الذهن مما في الخارج عن طريق الحواس.
- **الثاني :** يرى أن المعرفة لا تتمثل في الإدراكات الحسية أو

التجارب البسيطة فقط كما زعم الأولون ولكنها تتكون من خطوتين:

- حسية: وهي التي قال بها أولئك.
- وعقلية :
- أو مرحلتي: التجربة والمفهوم.
- والتصور الماركسي هو الذي يتبنى هذا الاتجاه ، يقول أحد الماركسيين:(إن المادية الديالكتيكية تعارض مرة واحدة الصفة وحيدة الطرف للمذهبين : العقلي الذي يرى أن النفس

أصلاً تحتوي على المبادئ والمفاهيم ، والتجريبي الذي يرى أن المعرفة كلها ناتجة عن الإحساسات وجمعها ؛ فليس ثمة فكر منطقي لا يؤسس على التجربة ، وبالمقابل : فإن المعرفة الحسية تحمل في ذاتها إمكانية التعميم التي ستتضح في المفهوم فاللحظة التجريبية واللحظة العقلانية تشكلان كلاً).

- **ففي الدرجة الأولى**: يمثل الإحساس الصلة المباشرة بين الوعي والعالم الخارجي وذلك بعكس الخصائص الموضوعية للأشياء المستقلة عنا.

- **أما الدرجة الثانية:** ففيها تظهر فاعلية العقل بالتجريد والتعميم ، والغور في عمق الأشياء التي لم تصل إليها الحواس.
- وإذا كان لمبادئ العقل ومفاهيمه هذا المقام فهذا يعني أن المعرفة تجاوزت مجال الحس.
- ولكن ألا يتناقض هذا مع الاتجاه التجريبي الماركسي الذي ينكر المبادئ الفطرية من جانب ، وتجاوز المحسوس من جانب آخر؟

- لقد لحظ الماركسيون أنهم بتجاوزهم المرحلة الحسية قد ساروا بأنفسهم نحو مأزق يهدم نظريتهم فتلافوا ذلك بأن بيّنوا أن العقل :
- في الدرجة العقلية إنما ينطلق من مفاهيم تجريبية.
- كما وضعوا للمعرفة شرطاً هو: أن تظل في دائرة التطبيق الواقعي في عالم الطبيعة وفي الممارسة العملية في الحياة الاجتماعية وبهذا القيد أرادوا أن لا تتجاوز المعرفة ميدان التجربة حتى لا ينتهوا إلى المذهب العقلي ومبادئه ومن ثم

الخوض في مباحث ماوراء الطبيعة.

- وبهذا يتضح أن هذه النزعة التجريبية متمثلة بالاتجاه الماركسي تتخذ في المعرفة بعداً أكبر من النزعة السابقة التي تمثلها وضعية (آير) ؛ لأنها بارتقائها إلى الدرجة العقلية تحقق معرفة تنبئية تعميمية من خلال الارتكاز على مبادئ عامة موثوقة الصدق.
- ولكنها حذراً من الخروج على اتجاها الحسي الذي تعتنقه تؤكد أن هذه المبادئ أحدثتها التجربة البشرية ، وليست فطرية

في العقل ، وأنها نالت هذه القيمة العلمية نتيجة كثرة التجارب التي مارسها البشر خلال ملايين السنين.

- كما تؤكد أن المعرفة ينبغي أن ترتبط بتطبيقها على المادة بما فيها حياة الإنسان وأن لا تعدو ذلك أبداً.

أسئلة الوحد الثانية عشر

- ١- عرف المصطلحات الآتية : الحسيات . الاتجاه الحسي . التجربة .
- ٢- تتمثل فلسفة اتجاهات التجربة الحسية من خلال أربعة عناصر كبرى . اذكرها .
- ٣- يتمثل تفسير التجريبيين الذي قالوا بالتجربة مصدراً للمعرفة في رأيين هما ..... و.....